

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهتم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والآدبية والتاريخية والعمرانية
ما لا يدخل في باقي أبواب المجلة ويكون جامعاً لاطلاوة المجدد وفوائد المنيد

الآواقف المصرية القديمة

ونقلها السلطة من يد الملك الى يد رئيس الكهنة

من مقالة لمجناب المسيو ماسيرو مدير الآثار المصرية

للاضطراب الذي نشأ في فرنسا في هذا العام بشأن حرية التعليم وحلّ الرهبانيات
الغير المأذونة اسباب عديدة اعظمها الخوف من تكاثر الآواقف الاكليريكية واستغراقها
كثيراً من املاك الامة . ولذلك يقولون انه لولا خطبة المسيو والدك روسو في طولوز لما
رضي بعض الجمهوريين المعندين بمجاراته في سن نظام الرهبانيات . فانّ المسيو والدك
روسو صاح في خطابه هذا : ان املاك الرهبانيات وآواقفها صارت تُقدر « بمليار » فرنك
وهي في ازدياد مستمر فاذا لم تضعوا لذلك حداً امنصّت هذه الرهبانيات دماء الامة وصارت
دولة في الدولة

فتناول يومئذ الاشتراكيون والغلاة كلمة « المليار » وصاروا يحاربون بها الرهبانيات .
وهال بعض معتدلي الجمهوريين هذا الرقم وهذه الثروة فراوا من الواجب ان يضعوا حداً
لذلك . ومن هنا نشأ نظام الجمعيات الدينية

فانت ترى في ما تقدّم ان اوروبا لا تنظر اليوم الى آواقفها بعين الرضى والطمانينة
خصوصاً في البلاد التي يكون رجال الدين فيها مقاومين للسلطة الحاكمة . ولكن الدول التي
يكون فيها رجال الدين على وفاق مع السلطة الحاكمة كروسيا مثلاً يكون شأن آواقفها شأن
الآواقف في بلادنا الشرقية . وحكومتها تشجع الواقفين وثني عليهم لانهم يخففون املاكهم للبيئة
الدينية وفقاً على « الفقراء والمساكين » انما يخنون الحكومة نفسها قوة جديدة طالما لا يكون فوق

يدها يد تراقب التصرف بهذا الوقف لانفاق دخله في افضل الوجوه التي ترفع الامة نفعاً حقيقياً ويظهر ان خوف الحكومة الفرنسية كان في محله . فقد عثرنا في هذا الشهر على مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية نشرها في احدى جرائد اوروبا وذكر فيها انتقال صولجان السلطة في مصر قديماً من ايدي الفراعنة الى ايدي الكهنة بسبب كثرة هذه الاوقاف واسنرافها قسماً عظيماً من البلاد والعباد . واليك خلاصة هذه المقالة المهمة . قال المسيو ماسبرو .

لما شاخ رمسيس الثالث تنازل عن الملك لابنه رمسيس الرابع واقام لذلك احتفالاً عظيماً في هيكل الاله عمون . ثم اخذ رمسيس الثالث (الاب) يساعد ابنه بالنصح والارشاد ويشغل بكتابة وصيته السياسية ليبلغ اخباره الى الاجيال التالية . ومن حسن الحظ ان احدى هذه الاوراق وقعت في يد رجل يدعى المستر هرس وكان قصلاً لانكلترا في الاسكندرية ثم ابتاعها منه متحف لندن بعد بقائها ٢٥ سنة معه . وهذه الورقة تنتهي بذكر فتوحات رمسيس واعماله . وفيها ما عدا ذلك بيان الاملاك والهبات التي وهبها للآله المصرية . وقد جاء في الورقة ان رمسيس هو الذي وهبها للآله ولكن الحقيقة ان تلك الاملاك كانت موهوبة لهما من اسلافه من ملوك الاسرة الثامنة عشرة حتى التاسعة عشرة . فالاهمية في هذه الورقة في بيان املاك الآلهة واقوافها في زمن من اهم الازمنة . ولذلك كانت فريدة في بابها .

وقد ورد في هذه الورقة ذكر اوقاف الآلهة في ثيبة وعين شمس (هليوبوليس) ومنفيس وبعض المدن الصغرى . وفيها تفصيل كل صنف من الاملاك كالبساتين والعبيد والحقول والمواشي مما يضيّق المقام عن ذكره . غير اننا نكتفي بذكر ما كان للاله عمون الذي هو اكبر الآلهة المصرية القديمة . فقد كان يملك ٨١٣٢٢ نفساً من العبيد والخدمة والخدامات و ٤٢١٣٦٢ رأساً من المواشي الكبرى والصغرى و ٤٣٣ بستاناً و ٢٣٩٣ كيلومتراً مربعاً من الاطيان كانت تزرع حنطة و ٨٣ سفينة تخترع باب النيل والبحر و ٤٦ معملاً للبناء و ٦٥ مدينة او قرية (منها سبع في آسيا) وما عدا ذلك فقد اهداه الناس في اثناء المدة التي ملك فيها رمسيس الثالث وهي ٣٢ سنة ٣١ كيلوغراماً من الذهب و ٨٣٣ غراماً و ٩٩٧ كيلوغراماً من الفضة و ٨٠٥ غرامات و ٢٣٩٥ كيلوغراماً من النحاس و ١٢٠ غراماً و ٣٧٢٢ قطعة من النسيج و ٣٠٩٩٥٠ هيكاتوليتراً من القمح و ٣٨٩٥٣٠ طائراً وكثيراً من الخيوط والكثبان والزيت والخمر والبخور والبقول . وعلى ذلك فقد كانت

ثروة الاله عمون فوق كل ثروة دون ثروة فرعون . وكانت املاكه عبارة عن جزء من ثمانية اجزاء من بلاد مصر وكانت آخذة بالازدياد والاتساع
ومن اجل هذا استنتج متأخرو المؤرخين نتيجة تشير اليها . فانه من المعلم انه بعد انقضاء مائة سنة او ١٢٠ على ملك رعمسيس الثالث قام كاهن عمون الذي كان الكاهن الاعظم في ثيبة وناذى بنفسه ملكاً جامعاً بذلك بين السلطين المدنية والروحية . وبذلك سقطت سلطة « الرعامسة » . فالمؤرخون كانوا يعتقدون حتى اليوم ان السبب في حلول سلطة رئيس الكهنة محل سلطة الفرعنة منذ نحو ٣ آلاف سنة كون الاقواف للكهنة والآلهة زادت زيادة كبرى عن املاك الملك فصار لهم القوة والسلطة دونه لرجحان ثروتهم على ثروته . ولكن المسيو ارمن الذي نشر منذ مدة كتاباً موضوعه البحث في « بابيروس هرس » وهي الورقة التي تقدم ذكرها يقول انه يجب ابطال هذا الرأي لان اقواف الاله عمون لم تبلغ اكثر من عشر البلاد . والناس الذين كانوا تابعين لها لا يبلغون جزءاً من ١٠٠ جزء من سكان مصر . فكيف وامحالة هذه يمكن ان تغلب طبقة الكهنة على اسرة الملوك الا ان المسيو ما سبرو صاحب المقالة يرد على المسيو ارمن . وردّه في غاية السداد على ما يظهر فانه قال ان ورقة هرس نقلت اليينايان ثروة الاله عمون في آخر حكم رعمسيس الثالث . وكانت خزانه رعمسيس يومئذ تفتح بالمال وارداً من سوريا . لكن في القرن الذي تلا ذلك الزمن اضطر الملوك الى ترك ولايات سوريا البعيدة فانقطع دخلها عن خزائهم ولم يبق لهم غير دخل املاكهم في مصر . وبناءً على ذلك نقص دخل الملوك نقصاً عظيماً بينما دخل الكهنة بقي على حاله تقريباً لانه لم يخسر الا ايراد بعض المدن السورية التي تركت وهي خسارة قليلة . واذا حسبنا الهدايا التي كانت تهدي اليه كما ارثى ملك الى العرش وجدت ان ذلك يعادل خسارته المذكوره آنفاً . فرجحان ثروته على ثروة الملوك لم يكن من قبيل زيادتها بل من قبيل حفظه لدخله وتناقص دخل الملوك . ولما رأى رئيس الكهنة قوته ورجحان ثروته اغتم هذه الفرصة وطلب جعل حق رئاسة الكهنة في اسرته فصار رئيس الكهنة لا يُختار الا منها وبذلك اصبح هذا المنصب وراثياً من الاب لابن . ومنذ هذا الحين زادت سلطة الكهنة وصارت الاسرة الرئيسة تزوج ابناؤها ببنات الاغنياء والعظماء زيادة لقوتها واعوانها . فلم يمتض على ذلك قرن او قرن ونصف حتى صارت بلاد ثيبة وهي ثلث بلاد مصر تقريباً وفقاً للاله عمون وملوكاً له ولكهانه . وكان رئيس الكهنة يحكم البلاد من اصوان الى اسيوط ويقود الجيش ويحكم بلاد الجنوب حتى الحبشة نفسها